تمثّلات الثقافة الوافدة وأثرها في قصيدة النثر العربية " أدونيس إنموذجاً "

م. م أحمد جميل عبد محمد الصفراني

الكلية التربوية المفتوحة – المثنى

البريد الإلكتروني Email : ahmadahmadq136@gmail.com

الكلمات المفتاحية: ثقافة ، قصيدة، وافدة، شعر، نثر.

كيفية اقتباس البحث

الصفراني ، أحمد جميل عبد محمد، تمثّلات الثقافة الوافدة وأثرها في قصيدة النثر العربية " أدونيس إنموذجاً "، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Representations of the incoming culture and its impact on the Arabic prose poem "Adonis as a model"

Asst. Lec. Ahmed Jamil Abdul Muhammad Al-Safrani
Al-Muthanna General Directorate of Pedagogy

Keywords : culture, poem, expatriate, poetry, prose.

How To Cite This Article
Al-Safrani, Ahmed Jamil Abdul Muhammad, Representations of the incoming culture and its impact on the Arabic prose poem "Adonis as a model", Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2024,Volume:14,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

Poetic representation is one of the most important issues that poets have been concerned with throughout the ages, especially in the modern era, because of its importance in revealing what the self contains, so it enables the writer, whether he is a poet or a prose writer, to take the appropriate mask to pass his critical discourse, this is what we try to stand With him, we show how the modern poet employed this artistic technique in shaping his poetic Contemporary Arabic poetry has derived its modernity, its style, and the issues it is working on, in addition to its meeting with many of the mechanisms, elements, and techniques of modernity that Western poetry has worked on in general, including the techniques of the symbol, the mask, the intersection of genres, the flash poem, the emphasis on compositional shifts, the care for spontaneity, and the use of Heritage In its broad sense, all of this came in varying proportions from one poet to another based on each poet's awareness of his experiences and tools and his possession of horizontal and vertical intellectual backgrounds that qualify him to work according to a certain level of Western modernity. It seems that the reason that prompted poets to do all of this is because modernity has made the present and the real actor in the self first, and society second, in comparison to the past and

the future together, the standard and effective element of poetic practice. Western poetic culture had the largest share in most of the prose or poetic production that was written. Western culture entered into shaping the artistic and thematic structure of Arabic poetry and contributed to developing it and giving it semantic values. This is what we find clearly evident in free poetry. texts, then we reveal the impact of the incoming culture on the formation of the Arabic prose poemofitspioneerandfounder,Adonis.

ملخص البحث :

يعد التمثيل الشعري من أهم القضايا التي عني بها الشعراء على مر العصور، ولاسيما في العصر الحديث، لِما له من أهمية في كشف ما تضمره الذات، فيمّكن الكاتب سواء أكان شاعراً أم ناثراً من اتخاذ القناع المناسب لتمرير خطابه النقدي، هذا ما نحاول أن نقف عنده ونبين كيف أن الشاعر الحديث وظف هذه التقنية الفنية في تشكيل نصوصه الشعرية، ثم نكشف عن أثر الثقافة الوافدة في تشكل قصيدة النثر العربية عند رائدها ومؤسسها أدونيس، إنَّ الشعر العربي المعاصر قد أستمد حداثته وأسلوبه وقضاياه المشتغل عليها، إلى جوار التقائه في ذلك مع كثير من آليات وعناصر وتقنيات الحداثة التي أشتغل عليها الشعر الغربي بشكل عام، ومنها تقنيات الرمز، والقناع وتداخل الأجناس، وقصيدة الومضة، والإيغال في الإنزياحات التركيبية والاعتناء بالعفوية وتوظيف التراث بمفهومه الواسع كل ذلك قد جاء بنسب متفاوتة من شاعر إلى آخر انطلاقاً من وعي كل شاعر بتجاربه وأدواته وامتلاكه لخلفيات فكرية أفقية وعمودية تؤهله للاشتغال على وفق مستوى معين من الحداثة الغربية.

ويبدو أن السبب الذي دفع الشعراء إلى هذا كلَّه هو لأن الحداثة قد جعلت من الراهن والفاعل الحقيقي في الذات أولاً، والمجتمع ثانياً بالقياس إلى الماضي والمستقبل معاً العنصر المعياري والفعَّال للممارسة الشعرية.

فكان للثقافة الشعرية الغربية النصيب الأكبر في أكثر ما كتب من إنتاج نثري أو شعري، فالثقافة الغربية قد دخلت في تشكيل البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي وأسهمت في تطويره واعطائه قيماً دلالية، وهذا ما نجده يتجلى بوضوح في الشعر الحر.

وهذا ما نحاول أن نصل إليه من خلال هذه الدراسة التي ركزنا فيها على نماذج مختارة من القصائد الشعرية وقراءتها قراءة تحليلية لنصل إلى ما وراء النص الشعري ومعرفة قصدية المؤلف، لأنه الكاتب لا يمكن له بأي شكل من الأشكال ان يكتب إبداعه بعيداً عن واقعه، ولهذا فالنص أياً كان هو ابن بيئته ووليد الظروف المحيطة بصاحبه.

المقدمة :

اختصت الدراسة بتتبع أثر الثقافة الغربية في الثقافة العربية ومدى ظهور ذلك في الشعر العربي (قصيدة النثر) عند "أودونيس" بوصف الشعر كائن ينبض بالحيوية والتسامي مع اشتغالات الحياة وتطورها، ففي عصر الحداثة وما بعدها تجلى تقارب الثقافات وتلاقحها بين الشعوب بشكل كبير فكان للثقافة الأدبية الغربية الأثر الكبير في تشكيل الرؤية الفنية للشعراء العرب الذين استثمروا التقنيات الحداثوية مثل الرمز والأسطورة للتعبير عما تختلف به نفوسهم وقد وجد أغلب الشعراء ضالتهم في ذلك فعمدوا إلى توظيف الرمز لأغراض ذاتية وجماعية ولذا انطلقنا من المحور الأول لتبيان أثر الحداثة العربية الغربية في حركة الشعر العربي ثم ذكرنا بوادر قصيدة النثر العربية البكر وتحولاتها في المحور الثاني ثم تناولنا في المحور الثالث نماذج تطبيقية من شعر أدونيس لنكشف عن أثر الثقافة الوافدة في الشعر العربي الحديث.

تمهيد : مفهوم التمثلات.

التمثلات في اللغة هي من مثل الشيء سوّاه وشبهه به وجعله على مثاله، فالتمثيل هو التصور والمماثلة الواصفة ، بمعنى إن التمثيل أعم من الوصف، إلا إن الأخير هو بيان للأول . ولكن هذا لا يعني إن التمثيل هو تشبيه، فالفرق بينه وبين التشبيه على حدِّ قول ابن رشيق هو إنَّ الأول" إخبار عن حقيقة الشيء، وأن ذلك مجاز وتمثيل"[١].

أما مفهوم التمثلات في الاصطلاح نجد إنّها تمثل التصورات الإنسانية حول الواقع على وفق المعرفة الممكنة، كونها تشكل مجموعة من التصورات الذهنية التي يكونها المتخيل عن واقع الحياة المرئي (الواقعي) وغير المرئي (التصوري)، إلا إنها في النهاية تشكل مماثلة مؤثرة في الذات المتلقية عبر تجسيدها للتصورات وتمثلها تبعاً لتعدد التجارب الإنسانية وما يرافقها من أحداث[٢].

بما إن الأدب هو تمثل الواقع وتمثيله، فأنه لا يمكن لنا أن نصل إلى العلاقة الكامنة بين الأدب والمجتمع، إلا عن طريقين هما: التمثيل الثقافي(الأدب الواقعي)، وبيان علاقته بالتجربة الإنسانية بعد الكشف عنها، متمثلاً ذلك بالتمثلات الشعرية لواقع الحياة. وأما الآخر: فهو التمثيل الثقافي(الأدب الخيالي)[٣] التصوري أو الصوري ، ضمن الإطار العام للقصيدة، بوصفها الفضاء الجامع، الذي تنضوي تحت لوائه جميع التصورات المرئية وغير المرئية التي تتبادر إلى ذهن الشاعر، إلى جانب ما يستدعيه من موروثه الثقافي عبر الذاكرة أو التذكر.

فالتمثلات هي العلامات الدالة على الشيء المذكور بألفاظ معينة، إذ أن العلامة لا تحيل مباشرة على المرجع، وإنما على الأفكار المتصلة به، فضلاً عن أن التمثيل يقوم بوظيفة التعبير

المتواصل أو ينتج كل تعبير فكرة عما يقوم بتمثيله. ولا يتحدد التمثيل بالنص السردي فقط، فهو يُعيد تشكيل العوالم والمرجعيات الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتتناظر بذلك العوالم النصية المتخيلة بالعوالم المرجعية فتحدد وظيفة التمثيل.(٤)

وهكذا فقد أصبحت التمثلات الشعرية واقع مفترض على الشاعر، كونها تصورات ماثلة في مخيلته، لذا من الطبيعي أن يصبح التمثيل الشعري ضرورة ملحة وحتمية عند الشاعر، ولاسيما الحديث والمعاصر، ولكن ضمن إطار شعري جديد للقصيدة العربية، فأخذ الشعراء بتمثّل الثقافة الوافدة وصورها المكتسبة عبر محاكاة أشكالها الأدبية، إلى جانب ما تشكله في أذهانهم من تصورات ذات أبعاد جمالية تعكس طبيعة الحياة والواقع.

المبحث الأول

التكوين الغربي

توطئة :

تؤدي علاقات التأثر والتأثير دوراً كبيراً في تقارب الأمم عبر تلاقح ثقافاتها وتداخلها، ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا التفاعل الثقافي ، فكان للهجرات والبعثات العلمية والترجمة أثرها الكبير في تحولات الشعر العربي، وغيرها من الوسائل التي كانت سبباً في الاتصال بالآخر والاطلاع على تراثه، ولاسيما الأدبي منه.

كل هذا وغيره كان له الأثر الكبير في تغيير وجهات النظر نحو تراثنا ، وما تضمنته من إعادة النظر بقضية عمود الشعر العربي. فشهد العالم العربي ، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية حراكاً شعرياً جديداً بناءً على الانفتاح العلمي والتلاقح الثقافي فيما بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية الأخرى.

المحور الأول

الحداثة الغربية وأثرها في حركة الشعر العربي المعاصر

كان للحداثة الغربية أثرها المباشر في ردة الفعل الثقافية التي شهدها العالم العربي، ولاسيما ممن تصدى للمشروع الحداثي من المثقفين العرب. ولهذا عندما نتحدث عن الحداثة، ولاسيما العربية ودراستها – إن كانت توجد بالفعل حداثة عربية – فأننا نجد هناك ضرورة ملحة لمعرفة موقع الحداثة العربية من الحداثة الغربية وليس لغرض المقارنة، وإنما لبيان مدى أثرها في الثقافة العربية، ولذا نجد أن النقاد قد انقسموا إزاء هذه القضية إلى ثلاثة اتجاهات، وقبل أن نستعرضها، لابد من القول أن الثقافة العربية قد ألتقت بالثقافة الغربية التي هي بالأصل حداثة نهضوية قائمة على حرية الفكر وما يطرحه من رؤى من شأنها التأثير في الآخر المتلقي، فكان

من طبيعة هذا الالتقاء أو التلاقح الثقافي هو ظهور بوادر الحداثة العربية مثلما يدعي كثير من الباحثين المحدثين(٥)، ولكننا لا نأخذ بهذا لأنهُ لا توجد حداثة عربية حقيقية مثلما شهدته أوروبا بعد الثورة الصناعية ، وإنما كل ما هنالك هو تحديث عربي ليس إلا، إذ عمد المثقفون العرب من خلاله إلى محاكاة الحداثة الغربية والسير على منوالها ، ولكن من وجهة نظر عربية لأسباب منها: المحافظة على هويتهم الثقافية أولاً، والنهوض بواقعهم من النواحي كلَّها ثانياً. وآراء النقاد إزاء الحداثة هي :

١- يرفض التعاطي مع معمولات الحداثة الغربية جملة وتفصيلاً ويحتمي بالثقافة السلفية.

٢- يقف في الطرف المقابل ويدعو إلى الانخراط في الثقافة الغربية بحلوها ومرها.

٣- يمثل الاتجاه الوسطي الذي يرى ضرورة التفاعل مع ثقافة الآخر في ظل الحفاظ على خصوصية الثقافة والهوية.

إنَّ ما ذهب إليه الرأي الثالث هو الأقرب إلى الواقع، لجملة من الأسباب منها : " إنه ليس من المعيب، بل لا يعد مآخذاً أن يقال أن (التحديث العربي) أو الحداثة العربية، قد اصطبغت أو أن رافدها الأكبر هو الحداثة الغربية، كونها دخلت علينا ونحن في أوطاننا، وتمركزت في مخيلتنا الثقافية، ولكن من المآخذ دون شك أن تكون الحداثة العربية صدى أو نقلاً غير واعٍ للحداثة الغربية "(٦)، فالحداثة بالأصل هي براغماتية، وهي العلم أو المثال الحقيقي لكل أشكال المعرفة ، فجاءت لغتها لغة عقلانية معبرة عن العالم المدرك. فضلاً عن ذلك أنه ليس عيباً علينا أن ننقد الخطاب الحداثي العربي في المناهج الحداثية الغربية وأساليبها بل أن في ذلك لمكسب كبير وثمين لخطاب الحداثة العربية، لأننا سوف نعيد قراءة الموروث الشعري، ونؤسس للرؤية والتصور والحساسية الشعرية الجديدة(٧).

أما بالنسبة للمرجعية الفلسفية الغربية فهي من الحقول المعرفية التي يستمد منها الشعراء مادتهم الفكرية، إذ أصبحت المرجعية الفلسفية من أكبر المنابع الثقافية التي أعتمدها الشعراء المعاصرون ووظفوها في نصوصهم الشعرية ، ولاسيما الشعراء الرواد أمثال(أودنيس، والسياب، ونازك الملائكة، والبياتي، وبلند الحيدري...)، وغيرهم كثير من الشعراء الذين تجلت تمثّلات الثقافة الغربية في نتاجاتهم الأدبية أدق تمثل، ولاسيما الشعرية منها، فهذه المرجعية الثقافية قد أعانت الشعراء لكي يفصحوا عن أفكارهم وعن ما يومض بها تجارب ذاتية تتماشى ورؤاهم الشعرية الحداثية(٨).

إنَّ الشعر العربي المعاصر قد أستمد حداثته وأسلوبه وقضاياه المشتغل عليها، إلى جوار التقائه في ذلك مع كثير من آليات وعناصر وتقنيات الحداثة التي أشتغل عليها الشعر الغربي

بشكل عام، ومنها تقنيات الرمز، والقناع وتداخل الأجناس، وقصيدة الومضة، والإيغال في الإنزياحات التركيبية والاعتناء بالعفوية وتوظيف التراث بمفهومه الواسع كل ذلك قد جاء بنسب متفاوتة من شاعر إلى آخر انطلاقاً من وعي كل شاعر بتجاربه وأدواته وامتلاكه لخلفيات فكرية أفقية وعمودية تؤهله للاشتغال على وفق مستوى معين من الحداثة الغربية[٩].

ويبدو أن السبب الذي دفع الشعراء إلى هذا كلَّه هو لأن الحداثة قد جعلت من الراهن والفاعل الحقيقي في الذات أولاً، والمجتمع ثانياً بالقياس إلى الماضي والمستقبل معاً العنصر المعياري والفعَّال للممارسة الشعرية[١٠].

فكان للثقافة الشعرية الغربية النصيب الأكبر في أكثر ما كتب من إنتاج نثري أو شعري، فالثقافة الغربية قد دخلت في تشكيل البنية الفنية والموضوعية، للشعر العربي وأسهمت في تطويره، واعطائه قيماً دلالية، وهذا ما نجده يتجلى بوضوح في الشعر الحر، حيث بدا هذا التداخل أو التلاقح الثقافي في نتاج الشعراء من خلال استثمارهم للرموز والأساطير المثيولوجية، والانفتاح على محاكاة النص الشعري الغربي عبر التفاعل مع الاستراتيجيات النصية والتقنية كونها أحد أشكال التوظيف الحداثي، ولذا لم يخفِ الشعراء تأثرهم بما وقعوا عليه من آداب غربية، بل احتفوا به ومنهم من رأى فيه ضالته في البحث عن نتاج جديد، مبتكر من شأنه أن يصور الهواجس المتولدة في نفس الشاعر ومرتبطة بالهموم والثقافات المعاصرة، ولابد لنا أن نُشير إلى تواجد الشعراء العرب في الجامعات الغربية أعطى لهم الفرصة للاطلاع على النتاج الشعري الحداثي ومتابعته عن قرب ، لذلك أدركوا جيداً متانة العلاقة بين الشعر ممثلاً بفعاليته النفسية والشعورية، وبين الشاعر ممثلاً بالإنسان، ومن أهم الشخصيات الأدبية التي تأثر بها شعراء العرب، هم: (بودلير، وفاليري، ورامبو، ومالارامية وولت ويتمان، ولوركا، ورامبو، واديث سيتول، وأدجار ألن بو، و s –t إليوت)[١١].

ويعد "بودلير" المؤسس الأول لقصيدة النثر في العالم، "ووليت ويتمان" هو أول من كتب القصيدة النثرية بشكلها الناضج، بالمقابل يصنف أودنيس شعراء قصيدة النثر بقوله أن أكثر شعراء الغرب، الذين كتبوا قصيدة النثر، كتبوا قبلها قصيدة الوزن، فكانت قصيدة النثر حداً لتجاربهم النثرية، وليس هرباً فنياً[١٢]، ولهذا فقد جاءت تجارب الشعراء العرب على خطى تجارب من سبقهم إلى هذا الجنس الأدبي في شكله وتشكيله. إلا أن الشعراء العرب قد تمكنوا من تقديم رؤية جديدة لم يأتِ بها شعراء الغرب، ولاسيما على مستوى التوظيف الرمزي والأسطوري من جهة، والبحث عن الهوية الذاتية والجماعية في قصائدهم عبر القناع والرمز والأسطورة وغيرها من الطرائق والأساليب التي لجأ إليها الشعراء للتعبير عن واقعهم بشكل دقيق.

المحور الثاني

الحداثة (التحديث العربي) والتأسيس لقصيدة النثر العربية

إنَّ تجربة الحداثة في العالم العربي، ترتبط ارتباط وثيقاً بتجارب شعر الحداثة في الغرب، وأما في العراق فيرتبط بتجارب الحداثة والتحديث في البلدان العربية الأخرى كما في لبنان، وسورية، وكذا شعر المهجر الذي يُعد النواة الأولى لهذه التجارب، فضلاً عن أن تحولات النص الشعري تختصر تحولات الواقع العربي باتجاهاته المختلفة ، فالخطاب الشعري في عصر الإحياء هو ترجمة وتكثيف لإرادة أمة كانت تبحث عن ذاتها وهويتها في زمن فقدت ذاتها وهويتها وكادت تفقد لغتها أيضاً، بعد أن تسرب إلى بنيتها الكلام العامي والأساليب الغريبة، فأصيبت بالابتذال والركاكة والغثاثة، فقام الخطاب الشعري الإحيائي يبحث عن هذه الذات المتشظية، والهوية المستلبة واللغة المغيبة في محاولة منه لأسترجعها، ولهذا لا يقتصر عصر الإحياء على الشعر، وإنما هو حركة في القومية والدين والتقاليد وما سواها، فكانت من أبرز نتائج هذه الحركة هو التجديد في الشعر العربي.(١٣)

لقد قدّر لهذا المصطلح الجديد الذي أطلقه أدونيس عام ١٩٦٠، أوّل مرة في مقالته المؤسّسة (في قصيدة النثر) التي نشرها في مجلة شعر، ليحلّ مصطلحا دالاّ على أنموذج أو شكل شعريّ جديد يتّخذ من الأنموذج الفرنسيّ شكلاً وأصلاً له، أو مثالاً يحتذى، ولهذا فإنّ مصطلح قصيدة النثر العربية ما هو إلا من منتجات مرحلة التأسيس التي ولدت في النصف الثاني من القرن العشرين، بتأثير من كتاب سوزان برنار عام ١٩٥٩، مثّل لحظة التحول الكبرى في معنى ومسيرة الشعريّة العربيّة، وذلك لحجم التأثير الذي أحدثه في الذائقة العربيّة بعد أن حلل البناء الشعريّ التقليديّ الذي طالما تحطّمت على دعاماته الراسخة معاول كل محاولات التغيير السابقة.(١٤)

ولهذا فإنّ مرحلة التأسيس، على الرغم من احتفائها بجملة من المصطلحات المجاورة لقصيدة النثر، إلاّ أنّها استطاعت أن تقدم مصطلحها الخاص بها، وتدافع عنه بقوة، حاشدةً لذلك طاقات يمكن وصفها بالإستثنائيّة، وتتمثل تلك الطاقات، بقدرة دعاة هذا الشكل الشعريّ المعرّف بقصيدة النثر، على سوق رؤاهم المدعّمة بعمق إفادتهم من الطروحات الفكريّة والثقافيّة العالميّة. ودأبهم الواضح في شدّ الانتباه إليهم من خلال تفعيل دور الوسائل الإعلاميّة واستثمارها، بوصفها وسيلة دعم مهمّة لنشر أفكارهم، وإخراجها بشكل منظّم وذكيّ، يستفيد حتّى من المواقف المضادّة، وهذا ما يلمسُ بجلاء في أعداد مجلة شعر، التي تبنّت قصيدة النثر، بوصفها أحد

المحاور الرئيسة لها، وقد استطاعت مجلّة شعر أن تثير بهذا التوجّه عاصفة شديدة من المساجلات.(١٥)

ومعنى ذلك أنّ شعراء قصيدة النثر في مرحلة التأسيس، بدأوا من حيث انتهى الفرنسيّون، وذلك بتبنّيهم المصطلح قبل أن يتمكّنوا من إيجاد ما يطابقه، ويتأسّس على حدودهِ في شعرهم، وهذا ما أطلق عليه (التعريف بالأثر الرجعيّ)، ومؤدّى ذلك أن جلّ تجارب قصيدة النثر العربيّة لم يتقيد بحدود المصطلح الفرنسيّ واشتراطاته، بل شقّ مسالك منافية له أحياناً، إلاّ أنّ من بين النقّاد مَن مركزه، وقام بإرغام النصوص على الانقياد لمنهجه، حتى أصبح الانصياع لمحددات المصطلح الفرنسيّة سبباً في تقصّي آفاق شعريّة أكثر مرونةً وأرحب انفتاحاً، وهذا ما تمثّل في المرحلة الثالثة من مراحل تحول الشكل وهي مرحلة التكريس التي شهدت نضج الوعي بالمصطلح وحدوده، إلا أنّها لم تقدّم، في ما قدّمت من بدائل كثيرة، ما ينوب عنه، وهذا ما كرّس الإشكاليّة وعدد جوانبها، بقدر ما كرّس الشكل وجعل منه مركزاً بعد أن بقي أمداً طويلاً في موقع الهامش من الشعريّة العربيّة.(١٦)

ولهذا فقد تأسست المرجعيات الثقافية للشعرية العربية على ما استمدته من رافدها الأكبر الثقافة الغربية، كونها العنصر الرئيس الذي نهل منه الشعراء العرب أغلب معطياتهم الثقافية والفكرية عبر احتذائهم لبناه التخيلية والتعبيرية، وتشكيلاتهم للصور الشعرية، محاكين بذلك معانيه وأساليبه ، منطلقين منه ضمن عملية الاستمداد لنصوصهم الشعرية، لذلك لا نبالغ إذا قلنا أن الأدب العربي هو جزء لا يتجزأ من المنظومة الثقافية الغربية، والعكس صحيح، فكان شعراء قصيدة النثر مثل (أودنيس، وبدر شاكر السياب، وبلند الحيدري) وغيرهم من شعراء الحداثة العربية، الذين تمثلوا معطيات الثقافة الغربية في نتاجاتهم الشعرية بشكل واضح، وهناك من أشار إلى مدى التشابه والتقارب الشديد بين روح بدر شاكر السياب (و.s.t إليوت)، وما نجده أيضاً في شعر بلند الحيدري من تمثلات لروح الشعر الإنجليزي المعاصر ومدى تعاطيه مع المرجعية الشعرية الغربية عبر توظيف المعطيات الثقافية، ولاسيما الحداثة الشعرية، ومن أبرز المؤثرات الثقافية الغربية التي تتجلى في نصوصهم الشعرية هو التوظيف الرمزي والأسطوري والهووي.

المحور الثالث

تمثلات الرمز في قصيدة النثر

يُعد توظيف الرموز ظاهرة قديمة في الأدب، وسواء أكان منظوماً أم منثوراً، فالأديب يعمد إلى الرمز لتوظيفه في نتاجه الأدبي خدمة لأغراضه الفنية المقصودة، فهو يقصد بتوظيفه قصداً؛ لأنه في حالة بحث مستمرة عن ذاته المتشظية والمذوتة مع الذات الجماعية. فالأديب لا

يمكن له بأي طريقة كانت أن يكتب ابداعه بعيداً عن واقعه، فهو يحاول دائماً أن يجد الحلول المناسبة للمشاكل الاجتماعية التي يعاني منها مجتمعه.

إذ أن الرمز يمثل ملاذاً آمناً للإنسان، يلجأ إليه في خيباته وتخطي فواجعه، فالعلاقة التي تربط الرموز بالشعر علاقة قديمة، فقد وجدت منذ أن وجد الشعر فتوظيفه يُعد رفضاً للواقع والكشف عن استبداد السلطة والتعبير عن معاناته التي تمثل جزءاً لا يتجزأ من معاناة مجتمعه نفسه. وأن الدراسات التي اهتمت بهذه الموضوعة كثيرة، وأننا هنا لا نريد البحث عن توظيف الرموز في الشعر، بقدر ما نبحث عن تمثلات الهوية الذاتية والجماعية التي حاول الشعراء العرب التعبير عنها من خلال توظيفهم للرموز التي اتخذوا منها قناعاً لإعادة هويتهم المسلوبة في ظل الظروف التي عاشوها.

فموضوعة الهوية في الشعر العربي الحديث تُعد من أهم مظاهر التجديد في الشعر الذي واكب الحركات الأدبية والنقدية في العالم العربي، بعد أن تأثر الشعراء العرب بالغرب، ولكن هذا لا يعني أن علاقة التأثر والتأثير لم تكن متبادلة بين الشعراء، فأدونيس أكد على التأثير المتبادل بينهم، فإذا " **كان شعرنا العربي يتأثر بالتجارب الشعرية الحالية في العالم، فإن أصحاب هذه التجارب يتأثرون هم أيضاً بإبداعاتنا العربية**"[١٧]، وهذا أمر طبيعي أن يحدث بين الثقافات العالمية؛ نتيجة الاتصال مع الآخر للتعرف عليه والاطلاع على علومه المتعددة ومحاولة محاكاتها لغرض الإفادة منها أو تطويرها لتواكب الحياة وتطلعاتها المتغيرة نحو التجديد.

وهذا ما نجده في قول أدونيس :

"**سبعة قرون وسبعة أخرى ترصف صدورنا**

بإسمنت الرمل، وأفواهنا ميتة، والله ينسخ آياته.

سبعة قرون وسبعة أخرى، ونحيا فوق بساط من الرفض"[١٨]

يحاول الشاعر هنا أن يعبر عن رفضه لتاريخ البلاد واستبدال الذاكرة الجماعية التي يراها غير قادرة على بناء وطن يحلم به الجميع ويحقق ما يتطلع إليه أبناءه كل هذا عبر عنه الشاعر بلغة رمزية رافضاً الواقع بقوله:

ونحيا فوق بساط من الرفض.

يفصح لنا النص الشعري أيضاً عن مدى الألم والمأساة التي مرّ بها الشاعر وعن هواجسه تجاه الكون والوجود، وهذا يعكس لنا حجم تأثره بالشاعر إليوت، الذي كان حاملاً الهاجس نفسه، حيث أستمد من الثقافة الشعرية الإليوتية، ومن قصيدته "**الأرض الخراب**" دلالة الموت والخراب

والانكسار، وهذا يعد أحد المؤثرات الغربية التي لها حضورها الفاعل في طبيعة البناء النصي للشعراء العرب.

إنَّ لجوء الشعراء لتوظيف الأساطير لم يكن اعتباطياً، وإنما جاء توظيفها لنقض الواقع أو الحقيقة التي لا يريد أن يعترف بها الآخر، والأساطير من المصطلحات المعروفة في الأدب والنقد على حدٍّ سواء. فكانت محاولات الشعراء في توظيفهم للأساطير ما هي إلا محاولة أرادوا من خلالها أن يضيفوا على تجاربهم الشعرية أبعاداً إنسانية وثقافية أخرى.

يقول أدونيس :

"هل سينهض من جديد، شعب جديد؛ في حقول الأفيون؟

هل ستنهض ريح جديدة ضد هذا الرمل؟

هل سيمتلئ سرير الأبطال؟

وأنت أيها المطر...

أيها المطر الذي يغسل الأنقاض

والخرائب ، أيها المطر الذي يغسل الجيف.

ترفق أيضاً وأغسل تاريخ شعبي[١٩].

يقوم النص على فكرة رئيسة وهي البحث عن خلاص نهائي من الواقع وقيوده، محاولاً استنهاض الهمم عبر أداة الاستفهام (هل)، وما للريح من علاقة ضدية كونها تأخذ معها كل شيء ليأتي بعدها المطر الذي يغسل الجيف، ليغسل بقايا ما خلفته الرياح. فهذا التوظيف يحمل دلالات معروفة لتحقيق ما قصده الشاعر وما يحلم به.

فالنص بدأ بسؤال عبر محاورة الذات بحثاً عن هويته المفقودة في رمال وطنه.

ويشير النص أيضاً إلى معاناة الشاعر، ويتطابق مع بنية الواقع فالحروب المتقطعة والحصار، فضلاً عن الموت الذي جاء متعدد الأشكال وغمر الإنسان العربي بألوانه المختلفة.

فتوظيف الشعراء للرموز في النصوص الشعرية العربية الحديثة تعد من أهم الأسس التي أتكئ عليها الشعراء في بناء قصائدهم الشعرية حتى شكلت الرموز " **نظاماً خاصاً في بنية الخطاب الشعري**"[٢٠].

إذ نجد أن الثقافة الأجنبية قد أصبح لها أثرها الواضح في شعر الشعراء العرب، وخصوصاً الشعر الفرنسي، وأدونيس أحد الشعراء الذين ركزوا على التجربة الفرنسية، وقاموا بدراستها، ولاسيما بعد أن تأثر بمجموعة من الشعراء الفرنسيين منهم (أندريه دي بوشيه، وجاك دويان، وفيليب جاكوته، وغيرهم)[٢١].

يقول أدونيس :

" ونصرخ ونحلم بالبكاء ولا دمع في العيون

ونلوي أعناقنا تحت الريح والصقيع

وبلادي امرأة من الحمي، جسر للملذات

يعبره

الفراعنة وتصفق لهم حشود الرمل"[٢٢]

نلحظ إصرار الشاعر على إيجاد البديل المناسب لوطن لم يعد مثلما كان، وإثبات هويته المتشظية في نتيجة للإقصاء والتهميش الذي تعرض له المجتمع من قبل السلطات المتوالية، فالهوية تشكل محور المسائلة الشعرية، الأمر الذي جعلها تشكل البنية الجوهرية لقصيدة النثر، ولاسيما أن قصيدة النثر قد ظهرت في عصر التوترات السياسية والاجتماعية فكان من الطبيعي أن ينعكس الأمر على الأدباء والشعراء ويظهر أثره في نتاجهم الأدبي ومنه الشعر الذي اتخذوا منه قناعاً لتمرير خطابهم النقدي القائم على الرفض والدعوة إلى التحرر.

النتائج التي توصل إليها البحث:

بعد هذا يمكن أن نصل إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث:-

- إنَّ قصيدة النثر عند أدونيس تمثل نصاً سيرياً يجسد تجربة الذات الشاعرة ، وهي تؤرخ لذاتها برؤية جمالية.

- تمثل قصيدة النثر شكلاً من أشكال القصيدة الغنائيّة ، كونها تمثل محور التجديد في الشعر العربي الحديث.

- تأريخ قصيدة النثر في الأدب العربيّ تأريخ متداخل، حيث التفتت المؤسسة الشعريّة العربيّة إلى قصيدة النثر بوصفها لعنةً وبدعةً ومحاولةً مبيّتة لهدم خصوصيّة الشعر العربيّ.

- كل من حاول التأصيل لقصيدة النثر من موقع الدفاع عنها، سواء أكان بوعي أم من غير وعي لم ينتبه إلى عمق التراث النثريّ العربيّ ، وتداخله مع الثقافات الأخرى.

- تمثل قصيدة النثر نوعاً من أنواع التعبير الرمزي لدى الشعراء في العصر الحديث، وذلك لقدرتها على تضمين الرموز والأساطير التي يتخذ منها الشعراء قناعاً يتوارون خلفه لتمرير خطابهم الابداعي والنقدي، في محاولة منهم لاسترداد هويتهم المسلوبة من قبل الآخر.

الهوامش :

١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢/٢٩٤ .
٢- ينظر: تمثيلات الآخر - صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، نادر كاظم : ٤٣.
٣- ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم، حنا فاخوري :١/ ٢٦.
٤- ينظر: السرد العربي القديم – الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل ، ضياء خميس : ١٢.

٥- ينظر: التراث والتجديد، حسن حنفي :٢٣.
٦- كتاب المنزلات ، منزلة الحداثة ، طراد الكبيسي :٢٤ ، وينظر أيضاً : تجليات الحداثة في شعر بلند الحيدري ، سلام مهدي ، أطروحة دكتوراه : ، ٨١.
٧- ينظر: نقد خطاب الحداثة في الوطن العربي ، الحداثة وما بعد الحداثة : ٩٢.
٨- ينظر: تجليات الحداثة في شعر بلند الحيدري :٧١- ٧٢.
٩- ينظر : م ، ن : ٩٣.
١٠- ينظر : نقد الحداثة ،ألان تورين، تر: أنور مغيث : ٢٠٥وما بعدها.
١١- ينظر: إشكالية التجديد في الشعر العربي الحديث ، مرجعياته ، أشكاله ، موضوعاته ، د.حفناوي بعلي : ٩٦٩ ، وينظر: قصيدة النثر العربية – الإطار النظري ، أحمد بزون : ٧٩.
١٢- ينظر: قصيدة النثر العربية – الإطار النظري ، أحمد بزون : ٧٩
١٣- ينظر: القصيدة المعاصرة المتكاملة بين الغنائية والدرامية ، د. خليل الموسى :١٢١، وينظر: صدمة الحداثة ، أدونيس : ٥٥.
١٤- ينظر: مفهوم قصيدة النثر في النقد العربي الحديث – الأصول والتحولات ، أحمد علي محمد: ١١٦- ١١٧.
١٥- ينظر : حركة الحداثة في الشعر العربيّ المعاصر ، كمال خير بك : ٦٠.
١٦- ينظر: مفهوم قصيدة النثر في النقد العربي الحديث – الأصول والتحولات ، أحمد علي محمد : ١٢٠- ١٢١.
١٧- قصيدة النثر العربية – الإطار النظري : ٧٩
١٨- أدونيس ، وحدة اليأس : ١٣.
١٩- م ، ن : ١٧.
٢٠- الأسطورة والرمز في شعر السياب ، شيماء ستار ، مجلة ديالى ، ع٤٦، ٢٠١٠م : ٣١.
٢١- ينظر : قصيدة النثر العربية – الإطار النظري : ٧٣.
٢٢- وحدة اليأس : ١٤.

المصادر والمراجع :

١- إشكالية التجديد في الشعر العربي الحديث، مرجعياته، أشكاله، موضوعاته، د.حفناوي بعلي، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.
٢- التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط١، ٢٠١٩م.
٣- تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. كاظم نادر، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
٤- الثابت والمتحول – صدمة الحداثة ، أدونيس، دار العودة، بيروت لبنان، ط١، ١٩٧٨م.
٥- الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم، حنا الفاخوري، دار ذوي القربى، ط٢، ٢٠٠٣م.
٦- حركة الحداثة في الشعر العربيّ المعاصر، كمال خير بك، مطبوعات مؤسسة كوجي، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٣م.
٧- السرد العربي القديم- الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، د. ضياء خميس، المؤسسة العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.
٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني الأزدي(ت٤٥٦هـ)، حققه وفصله ، وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للطبعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١٩٧٢،٤م.
٩- القصيدة المعاصرة المتكاملة بين الغنائية والدرامية ، خليل الموسى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
١٠- قصيدة النثر العربية – الإطار النظري ، أحمد بزون، دار الفكر الجديد، بيروت – لبنان، د. ط، د. ت. .
١١- الكلام والخبر(مقدمة للسرد العربي) ، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
١٢- كتاب المنزلات ، منزلة الحداثة ، طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ط١، ١٩٩٢م.

١٣- مفهوم قصيدة النثر في النقد العربي الحديث – الأصول والتحولات ، أحمد علي محمد، الناشر، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
١٤- نقد الحداثة ، ألان تورين، تر: أنور مغيث، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
١٥- نقد خطاب الحداثة في الوطن العربي، الحداثة وما بعد الحداثة، محمد عمر ، منشورات وزارة الثقافة . دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.

الرسائل والأطاريح :

- تجليات الحداثة في شعر بلند الحيدري، سلام مهدي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١١م.

المجلات والدوريات :

١-الأسطورة والرمز في شعر السياب ، شيماء ستار ، مجلة ديالى ، ع٤٦، ٢٠١٠م.

Sources and references:

1- The problem of renewal in modern Arabic poetry, its references, forms, and topics, Dr. Hafnawi Baali, Supreme Council of Culture, Egypt, 1st edition, 2003 AD.
2- Heritage and Renewal, Our Position on the Ancient Heritage, Hassan Hanafi, Hindawi Foundation, United Kingdom, 1st edition, 2019 AD.
3- Representations of the Other: The Image of Blacks in the Middle Arab Imaginary, Dr. Kazem Nader, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut - Lebanon, 1st edition, 2004 AD.
4- The Fixed and the Mutable - The Shock of Modernity, Adonis, Dar Al Awda, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1978 AD.
5- Al-Jami' in the History of Arabic Literature - Ancient Literature, Hanna Al-Fakhoury, Dar Dhuli Al-Qarba, 2nd edition, 2003 AD.
6- The Modernity Movement in Contemporary Arabic Poetry, Kamal Khair Bey, Koji Foundation Publications, Damascus, Syria, 1st edition, 2013 AD.
7- Ancient Arabic Narrative - Cultural Patterns and Problems of Interpretation, Dr. Diaa Khamis, Arab Science Foundation Publishers, Beirut - Lebanon, Dar Al Fares for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1st edition, 2005 AD.
8- Al-Umdah fi Mahasin al-Sha'ar, its Etiquette and its Criticism, by Ibn Rashiq al-Qayrawani al-Azdi (d. 456 AH), verified and detailed, and its footnotes annotated by: Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, Dar al-Jeel for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 4th edition, 1972 AD.
-٩The contemporary poem integrated between lyricism and drama, Khalil Al-Mousa, Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, 1st edition, 2006 AD.
10-Arabic Prose Poem - Theoretical Framework, Ahmed Bazoun, Dar Al-Fikr Al-Jadeed, Beirut - Lebanon, Dr. i, d. T.
11-Speech and News (Introduction to Arabic Narrative), Saeed Yaqtin, Arab Cultural Center, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1996 AD. 12-The Book of Manzalat, The Status of Modernity, Trad al-Kubaisi, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1st edition, 1992 AD.
13- The concept of the prose poem in modern Arab criticism - Origins and Transformations, Ahmed Ali Muhammad, publisher, University of Baghdad, 2005 AD.
14- Criticism of Modernity, Alain Touraine, Trans.: Anwar Moghaith, National Center for Translation, Cairo, 1st edition, 1997 AD.
15- Criticism of the discourse of modernity in the Arab world, modernity and postmodernism, Muhammad Omar, Publications of the Ministry of Culture - Damascus, Syria, 1st edition, 2002 AD.

Messages and theses:

1- Manifestations of Modernity in the Poetry of Buland Al-Haidari, Salam Mahdi, doctoral thesis, Al-Taribah College, University of Basra, 2011 AD.

Magazines and periodicals:

1- Myth and Symbol in Al-Sayyab's Poetry, Shaima Sattar, Diyala Magazine, No. 46, 2010 AD.